

# الإمبراطور والعندليب<sup>١</sup>

نقلها عن الفرنسية<sup>٢</sup> : أيهم نقولا سعد<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> المرجع :

"L'empereur et le rossignol", mes contes préférés, Ladybird Books, 51 p.

<sup>٢</sup> المترجم من رعية فطنا - ريف دمشق - سوريا. حائز على رسالة الماجستير في الهندسة المدنية من مدينة ليل الفرنسية

Email : [aihamsaad@gmail.com](mailto:aihamsaad@gmail.com) ; P.O.Box : 3170, Damascus-Syria ; Website : [www.aihamsaad.wordpress.com](http://www.aihamsaad.wordpress.com)

عاش منذ زمنٍ طويلٍ في الصَّينِ البعيدةِ إمبراطورٌ مقتدرٌ ذو سلطةٍ.

قَطَنَ هذا الامبراطور في قصرٍ عظيمٍ ورائعٍ مبنيٍّ من الخزفِ الصَّينيِّ الفاخرِ المملوءِ بكنوزِ نفيسةٍ.

كان القصرُ مُحاطاً بحدائقٍ بديعةٍ نبتت فيها ورودٌ مُغطَّاةٌ بأجراسٍ صغيرةٍ جدًّا فضيَّةِ اللَّونِ، كانت هذه الأجراسُ تطنُّ وترنُّ لأقلِّ اهتزازٍ واحتكاكٍ.

خلف هذه الحدائقِ كان هنالك غابةٌ، وخلف الغابةِ يمتدُّ البحرُ.

عاش عندليبٌ على شجرةٍ على شاطئِ البحرِ، كان تغريده رائقاً حتَّى أنَّ صيَّادَ السَّمكِ الفقيرِ الذي قَدِمَ إلى هنا ليرمي شباكه توقَّفَ ليستمتع لتغريده.

سارع مسافرون من العالمِ أجمعٍ لزيارةِ قصرِ الإمبراطورِ وقد أعجبوا بغنىِ كنوزهِ ودُهِشوا بروعةِ حدائقه، لكنَّ عندما استمعوا صدفةً للعندليبِ أجمعوا كلَّهم على القولِ: "ها هو الشيءُ الأكثرُ جمالاً."

كثيرٌ من الكتبِ كانت قد كُتبتِ عن قصرِ الإمبراطورِ وكنوزهِ. ودوماً كُنَّا نتكلَّمُ فيها عن العندليبِ كما عن الشيءِ الأكثرِ روعةً في هذا القصرِ.

بيعت هذه الكتبُ في العالمِ أجمعٍ وقد وصلَ واحدٌ منها إلى الإمبراطورِ.

كان الإمبراطورُ سعيداً جدًّا بأن نتكلَّمُ بهذا الشكلِ الجيِّدِ عن قصره وحدائقه.

لكن فضوله أُثير كثيراً عندما قرأ هذه الكلماتِ: "العندليبُ هو الشيءُ الأكثرُ جمالاً في هذا المكانِ."

صاح الإمبراطورُ عندها صارخاً: "ماذا يعني هذا الأمرُ؟". "هنالك إذاً في حدائقِ طائرِ جميلٍ ورائعٍ لم أسمعهُ أبداً؟"

نادى الإمبراطورُ في الحالِ رئيسَ وزرائه وقال له: "يقالُ أنَّه يوجد هنا طائرٌ أسطوريٌّ يُدعى

العندليبِ، يبدو أنَّ تغريده أكثرُ أهميَّةً من كلِّ كنوزي، لماذا لم تخبروني عنه أبداً؟"

أجاب رئيسُ الوزراءِ: "لم أسمع عنه أبداً."، "لكنني سأحاولُ إيجادَه."

شرع رئيس الوزراء يفتش في القصر، صعد وهبط على السلام والأدراج، جاب بخطى واسعة الممرات، تفقد عدد لا يحصى من الصالات والغرف، سأل كل الناس الذين قابلهم إذا كانوا قد رأوا العنديل. لكن لم يستطع أحد أن يعلمه عنه.

عاد رئيس الوزراء إلى الإمبراطور وقال له: "جلالتك، يجب ألا تصدق كل ما يكتب في الكتب، هذا العنديل هو بالتأكيد ابتكار بسيط لا وجود له."

أجاب الإمبراطور: "هذا الكتاب كان قد أرسل إلي من قبل صاحب السمو إمبراطور اليابان؛ هذا يعني أنه كتاب جاد، إنه من الواقع. إن لم أسمع تغريد العنديل هذا المساء سيندم كامل البلاط على ذلك."

عاد رئيس الوزراء مذعوراً ومُسارعاً يفتش في القصر. ساعده الكل في التفتيش، لأن الجميع خافوا غضب الإمبراطور.

لكنهم قابلوا، في النهاية، خادمة صغيرة قالت لهم: "أحضر الطعام مساءً لأمي التي تعيش على الشط، وغالباً ما أسمع العنديل يُغرد، إنه تغريد جميل جداً حتى أن الدموع تنهمر من شدة جماله"

طلب رئيس الوزراء من الخادمة الصغيرة أن تقوده إزاء العنديل، حيث تبعهما بفضول كل البلاط لرؤية الطائر الرائع.

سمعوا على الطريق الذي يقود إلى الشط بقرة تخور.

فقال فتى من الأشراف الذين يخدمون الإمبراطور "سموا". "إنه العنديل! أي صوت عريض له!"

أجابت الخادمة الصغيرة "لا"، "إنها بقرة، علينا المزيد من التقدم."

ثم ساروا بمحاذاة مستنقع صغير، حيث كانت ضفدعة تنق.

فصاح رجل من رجال البلاط "أنا أسمعه الآن!". "كأنه صوت موسيقى أجراس."

أجابت الخادمة الصغيرة "لا"، "إنه ليس إلا ضفدع، لكنكم ستسمعون قريباً تغريد العنديل."

وصلوا أخيراً إلى جانب شجرة على ضفة البحر فأشارت لهم الخادمة الصغيرة إلى طائر صغير قابع

على غصن.

"هوذا،" تمتت الخادمة. "إنّه العنديل." "

سأل رئيس الوزراء: "كيف يمكن لكائن عاديّ جدًّا أن يصدر هكذا ألحان جميلة؟".

أحابت الخادمة: "سترون،". "عزيزي العنديل!" نادته بصوتٍ ناعم. "هل ترغب، لو سمحت، بأن تغرّد من أجلنا؟"

فباشر العنديل بالغناء بشكل جميل جدًّا حيث كان الجميع مبهورين.

تنهّد رئيس الوزراء قائلاً: "اعتقدنا سماع أجراس من الكريستال،". "كيف حصل ولم نره أو نسمعه مسبقاً؟"

ثمّ توجه رئيس الوزراء إلى العنديل قائلاً له: "أيها العنديل الجزيل الشرف! أتوسّل إليك بدواعي لطفك بأن تقبل الغناء أمام جلالة الإمبراطور، هذا المساء بعينه."

أجاب العنديل: "إنّني أعرّد بشكل أفضل بكثير بين الأشجار،". لكنّ العنديل أراد أن يكون رائعاً في نظر الإمبراطور فقبل أن يأتي إلى القصر.

قمنا بوضع مسند من الذهب في وسط أكبر صالات القصر ليقف عليه العنديل وكانت كلّ الحاشية مجتمعّة، حتّى الخادمة الصّغيرة كان قد سُمح لها بالجيء لسماع العنديل.

كانت كلّ العيون محدّقة على العصفور الصّغير الموضوع على مسند الذهب.

وبحركة رأسٍ، أوّماً الإمبراطور للعنديل بالبدء.

غرّد العنديل بشكل رائع جدًّا حتّى أن دموع السّعادة بدت في عينيّ الإمبراطور ثمّ اندرفت على خديّه.

أمر الإمبراطور: "بإعطاء العنديل بابوجه الذهبي لكي يضعه العنديل حول عنقه."

لكنّ العنديل أجاب بأنّ الدموع التي كان قد شاهدها في عينيّ الإمبراطور كانت الهدية الأكثر جمالاً التي نستطيع أن نقدّمها له.

ومن ثمَّ عاودَ الغناء والتغريد من جديد بصوته العذب اللذيذ.

عاش العندليب بدءاً من هذا النَّهار في القصر في قفص ذهبي لا يستطيع الخروج منه إلاَّ مرتين في النَّهار ومرة في الليل.

بمسكُ به اثنا عشر خادماً بجبل صغير من الحرير مربوط إلى قائمته.

في كل أنحاء الإمبراطوريَّة، الرِّجال، التِّساء والأطفال ما تكلموا إلاَّ عن العندليب.

وفي يوم من الأيام، قدَّم بائع ساعات هديَّة للإمبراطور. كانت هذه الهدية عنديباً صناعياً من الفضة المرصعة بالألماس والأحجار الكريمة.

يستطيع هذا الطائر الصناعيُّ، عندما نديره بمفتاح صغير من الفضة، أن يغرد ويغني أحد ألحان العندليب الحقيقيِّ. وخلال غنائه، يصعد ويهبط ذيله البراق من الذهب والفضة.

كان الإمبراطور سعيد بعنديبه الجديد الذي أقامه بجانب العندليب الحقيقيِّ. وهكذا استطاع العنديلان التغريد معاً.

لكن، بينما كان العندليب الميكانيكيُّ يغني دوماً نفس اللحن، كان يجود العندليب الحقيقيُّ بلحن جديد في كلِّ مرة.

أذاع بائع الساعات أنَّ عنديبه الميكانيكيُّ أغلى بمائة ضعف عن ذاك الحقيقيِّ.

"مع العندليب الحقيقيِّ، لا نستطيع أبداً معرفة أيُّ لحنٍ سوف يغني" شرح الساعاتيُّ.

"عنديبي الصناعيُّ يغرد دوماً نفس اللحن، ويؤدِّيه بشكل رائع."

وبذلك، تركنا الطائر الصناعيُّ يُغرد وحيداً. كان صوته جميلاً أيضاً كصوت العندليب الحقيقيِّ، وكان منظره أكثر جمالاً.

استطاع العندليب الصناعيُّ أن يردِّد لحنه دون تعب أو ملل، كما استمع إليه كلُّ البلاط وشاهدوه مروّضاً.

ثمَّ صرَّحَ الإمبراطور أنه يرغب بسماع العندليب الحقيقيّ يغرّد ثانيةً في القصر. لكنّه كان قد اختفى ولم يشاهده أيُّ شخصٍ يطير من النافذة ليعود إلى غاباته. كان كلّ شخصٍ مشغولاً بإطراء العصفور الصنّاعيّ.

صرخَ رئيس الوزراء: "هكذا عندليب هو ناكر الجميل والمعروف!".

قالَ حينئذٍ الإمبراطور "ليكن مُبعداً من إمبراطوريّتي". ثمَّ عاود الإعجاب بالعندليب الصنّاعيّ، ونسيَ للحال العندليب الحقيقيّ.

لقد وضعنا العصفور الصنّاعيّ على وسادة من حرير بجانب سرير الإمبراطور، وكانت جميع هدايا الذهب والفضّة التي كان قد تلقّاها الإمبراطور معروضة من حوله.

مضت سنة حفظ خلالها الإمبراطور وسائر البلاط وكلّ شعب الصّين علامة بعلامة لحن العندليب الصنّاعيّ، وأحبّ الجميع تردادها معاً بالاشتراك معه.

وعندما كان الإمبراطور ممدّداً على سريرهِ، في أحد الأمسيات، وهو يستمع إلى غناء وتغريد عندليبه الصنّاعيّ. فجأةً، سمع فرقة جافّة متبوعة بضجيج نوابض ثمّ توقفت الموسيقى.

قفز الإمبراطور من سريرهِ ونادى بائع الساعات الذي فكّ العصفور وأصلحه بأفضل ما استطاع. لكنّ الآليّة التي تصدر اللحن كانت مستعملة لدرجة كبيرة، لهذا السبب واعتباراً من هذا اليوم لا يجب على العصفور الصنّاعيّ أن يغرّد إلاّ مرّة واحد في السنة.

مضت خمس سنوات طوال، طُرِحَ بعدها الإمبراطور مريضاً واستراح شاحباً ومحموماً في سريرهِ الكبير مترقّباً موته القريب. همّيات حاشية الإمبراطور لاستقبال الإمبراطور الجديد الجاهز مسبقاً ليخلفه.

لكنّ الإمبراطور ما كان قد مات بعد، لقد شعرَ بألم في الصدر وعندما فتح عينيه رأى الموت جالساً على قلبه، كان بيد الموت سيف الإمبراطور وعلى رأسه تاجه ويحمل في اليد الأخرى الرّاية الإمبراطوريّة.

ظهرت من كِلا جانبي الرّاية وجوه غريبة بعضها قبيحة وعابسة وأخرى جميلة وضاحكة. سمعها الإمبراطور تروي وتقص الأفعال الجيدة والسيّئة التي كان قد أنجزها وقام بها خلال فترة وجوده.

استدعى الإمبراطور رجاله، وهو خائف جداً، لكي يعزفوا له على الطبل. ما أراد أن يسمع أكثر تلك الأصوات والتمتمات المرعبة، لكن رجال الحاشية لم يستجيبوا له.

أمر عندها طائر الصنّاعي أن يغني له لكنه بقي أيضاً صامتاً. كيف سوف يستطيع التغريد ولم يربطه أحد؟

لم يستطع الإمبراطور الهروب من الأصوات المزعجة التي أتعبته.

فجأة، وصل صوت الموسيقى الأكثر عدويةً إلى أذني الإمبراطور. كان العنديل الحقيقي! لقد علم أن الإمبراطور كان يحتضر فجاء ليقدم له التحية الأخيرة.

كانت تحتفي الوجوه المرعبة كلما غرّد العنديل، وحين تحتفي هذه الوجوه يتعد الموت بذاته عن الإمبراطور متأثراً بفسحة كبيرة من الجمال، ثم خرج الموت من النافذة كطيف أبيض وثلجي ليعود إلى القبر الذي كان يعيش فيه.

شعر الإمبراطور عندها بتحسّن كبير وقد لمعت في عينيه دموع السعادة عندما جلس في السرير.

قال الإمبراطور: "شكراً لك يا عزيزي العنديل". "أنت الذي طردته وأقصيته من إمبراطوريّ، عدت لإنقاذي من الموت. سوف لن أستطيع أبداً أن أشكرك بالشكل الذي يليق بك."

أجاب العنديل: "لقد شكرتني مسبقاً أيها الإمبراطور بالدموع التي رأيتها في عينيك مثل أول يوم سمعتني به. نم الآن وسوف أغرّد لك."

نام الإمبراطور إذاً بسكون، وعندما استفاق في اليوم التالي كان العنديل لا يزال موجوداً يغرّد على حافة النافذة.

قال الإمبراطور: "سوف تبقى من الآن فصاعداً معي دائماً أيها العنديل وسوف أحطّم هذا الطائر الصنّاعي إلى ألف قطعة."

إلا أن العنديل توسّل إلى الإمبراطور بالألا يحطّم العصفور الصنّاعي. ومن ثمّ قال له: "لا أستطيع العيش في القصر، لكنني سأتي كل مساءً إلى نافذتك وسوف أغرّد وأحضر لك كل الأخبار من سائر أنحاء

الإمبراطوريّة، لكنّ عليك أنْ تعدني بالألّا تكشف لأحد بأنني عدت لأغرّد لك. وكل شيء سيكون على ما يُرام."

أقسم الإمبراطور، وطار العندليب إلى غابته العزيزة.

وعندما دخل رجال البلاط عليه، معتقدين أنهم سيجدون الإمبراطور ميتاً، استقبلهم بكلمة صباح

خَيْرٍ رتّانة.

مع تحياتي الطيبة

أيهم نقولا سعد